الحوار العربي ـ الاوروبي وتأثيره في الموقف الاوروبي من القضية الفلسطينية

محمد خالد الازهري

كانت سياسة دول اوروبا الغربية، طوال حقبة طويلة من تاريخها، أحد العوامل الاساسية في خلق الكيان الصهيوني، والتسبب في بروز المسألة الفلسطينية، بكل ما ترتب على ذلك من مضاعفات وصراعات في قلب المنطقة العربية.

ومنذ ما يقرب من ثلاثين عاماً، تتأطر دول غرب اوروبا في تنظيم اقليمي يحظى، وبشكل حثيث، بموقع متميز بين التنظيمات الاقليمية الدولية المعاصرة [١]. بدأ هذا التنظيم في العام ١٩٥٧ بدول ست، هي فرنسا والمانيا الاتحادية وايطاليا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبورغ، تحت اسم المجموعة الاقتصادية الاوروبية. ثم ازدادت دول المجموعة الى تسع في العام ١٩٧٣، بانضمام كل من بريطانيا والدانمرك وايرلندا. وتوسعت المجموعة، فأصبحت تضم اثنتي عشرة دولة من دول غرب اوروبا، حينما انضمت اليها اليونان (١٩٨١) ثم اسبانيا والبرتغال (١٩٨٦). وفي الوقت الذي تتسع فيه دائرة المجموعة الاوروبية اقليمياً، فان من الملاحظ ازدياد الدور الذي تقوم به المجموعة على الساحة الدولية، من الناحيتين الاقتصادية والسياسية. وليس من المبالغة ان نذكر الاهمية التي يوليها العالم العربي لعلاقاته مع المجموعة الاوروبية، وان القضية الفلسطينية تقع في قلب دائرة هذه العلاقات، وخصوصاً خلال السنوات العشر الماضية، والتي شهدت بروز ظاهرة الحوار العربي ـ الاوروبي.

وقد حاولت الدول العربية دفع دول المجموعة الاوروبية، بشكل انفرادي او جماعي، الى انتهاج سياسة عادلة تجاه القضايا العربية عموماً، والقضية الفلسطينية بوجه خاص.

وانطلاقاً من ادراك اهمية الدور الاوروبي، في المفهوم التاريخي والمستقبلي، نتناول، هنا، عرض بعض النقاط التي نتلمس اهميتها على طريق تطوير السياسة الاوروبية ـ الفلسطينية.

تحطيم الوهم حول الدور الاسرائيلي

غنّي عن الذكر كيف ان اوروبا وجدت ان للكيان الصهيوني وظيفة هامة في المنطقة العربية في مرحلة تاريخية سابقة، وربما منذ القرن التاسع عشر (أو ما قبل ذلك التاريخ). من ذلك ان اوروبا رأت ان من مصلحتها تحطيم اي محاولة وحدوية عربية، وضرورة خلق كيان يقوم على حراسة المصالح الاوروبية في المنطقة العربية وحماية طرق مواصلاتها نحو مستعمراتها المجاورة لهذه المنطقة، الخ. ولكن التطور الذي طرأ على الساحة الدولية عموماً، والاوروبية خصوصاً، يدفع الى ضرورة تغيير المدركات الاوروبية بشأن وظيفة هذا الكيان[٢]. فاوروبا عرفت الانقسام في الايديولوجية والنظم لايجاد الاشتقاق السليم لكلمة نظام منذ الحرب العالمية الثانية، ولن يختفي هذا التمزق دون ان ترفع اوروبا عن كاهلها صراع النفوذ بين الادارة السوفياتية والسياسة الاميركية. هذا بينما نجد أن